المنظومة
ALMANDUMAH

العنوان:	قراءة في نقد نصوص العهد القديم عند الإمام ابن حزم
المصدر:	إسلامية المعرفة
الناشر:	المعهد العالمي للفكر الإسلامي - مكتب الأردن
المؤلف الرئيسي:	العباقي، الحسن
المجلد/العدد:	مج 6, ع 24
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2001
الشهر:	ربيع
الصفحات:	141 - 162
DOI:	10.37144/0298-006-024-006
رقم MD:	103666
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	توحيد الألوهية، ابن حزم ، علي بن أحمد ، ت. 456 هـ، كتاب الفصل في الملل والأهواء النحل، كتاب الرد على ابن النغريلة اليهودي، اليهودية، العقائد، النبوات، الملائكة، التوراة، موسى عليه السلام، العهد القديم، نقد النصوص
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/103666

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

العباقي، الحسن. (2001). قراءة في نقد نصوص العهد القديم عند الإمام ابن حزم.إسلامية المعرفة، مج 6, ع 24، 141 - 162. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/103666

إسلوب MLA

العباقي، الحسن. "قراءة في نقد نصوص العهد القديم عند الإمام ابن حزم."إسلامية المعرفةمج 6, ع 24 (2001): 141 - 162. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/103666

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

قراءة في نقد نصوص العهد القديم عند الإمام ابن حزم

الحسن العباقي*

مقدمـــة:

لقد كان للنصوص المقدسة أكبر الأثر في توجيه الجماعات البشرية بغض النظر عن مصدر هذه النصوص سواء أكان إلهياً أم بشرياً.

والمتأمل في تاريخ الشعب اليهودي وفي نشاطاته التي جاءت بعد السبي البابلي[1] خاصة، يجد أن أغلبها إن -لم تكن كلها- كانت مؤطرة بالنص المقدس، سواء نص العهد القديم أو نص التلمود في مرحلة لاحقة، و بتعبير أكثر دقة يمكن القول أنه كان شديد الحرص على تأصيل سلوكياته تجاه الآخرين ؛ تلك السلوكيات التي كان العداء والاحتقار للآخر سمتها الأساسية، وما ذلك إلا ليضفي عليها نوعا من المشروعية . غير أن الحديث عن هذا المستوى من المشروعية يدفعنا لمساءلة النصوص المعتمدة في عملية التأصيل هذه، لنقف على مدى قداستها . تلك القداسة التي تتحدد وفقا لقداسة المصـــدر من جهة، و صحة المضمون من جهة ثانية، الشيء الذي لا يمكن الإجابة عنه إلا إذا أخضعناها - كما كان حال المحدثين مع النصوص الحديثية- إلى دراسة نقدية على مستوى السند و الـــمتن .

---

* ماجستير بوحدة "المناظرات الدينية في الفكر الإسلامي"، كاتب عام جمعية "الإمام ابن حزم للطلبة الباحثين في مقارنة الأديان".بالمغرب.

[1] السبي الذي تعرض له اليهود إبان القرن السادس قبل الميلاد على يد نبوخدنصر.

و مع أنه قد اضطلع بهذه المهمة العديد من العلماء و من ملل شتى، تبقى دراسة الإمام الجليل أبو محمد علي بن حزم الظاهري أمتنها على الإطلاق و ذلك في كتابيه "الفصل في الملل و الأهواء و النحل" و "الرد على ابن النغريلة اليهودي"، و الكتاب الأول قد جعل من الإمام ابن حزم المؤسس الحقيقي لعلم مقارنة الأديان كما شهد له بذلك أعداؤه [2] قبل محبِّيه، حيث عرض فيه جملة من العقائد عرضا نقديا وناقشها نقاشا متينا -و إن كان مصحوبا بالكثير من السب والشتم- ومن ذلك مناقشته لنصوص العهد القديم التي اتسمت إلى جانب عنفها بإحاطة كبيرة بالموضوع سندا ومتنا .

و إن المطّلع على ما كُتب بعد ابن حزم لَيقرِّر وبكل طمأنينة أن الذين جاءوا بعده كانوا عالة عليه، أو على أقل تقدير ساروا على نفس الدرب الذي سار عليه، فاقتفوا خطواته واتبعوا منهجه في التعامل مع النص . و لم يكن هذا مقتصرا على علماء المسلمين، بل تجاوزهم إلى علماء اليهود كَ"ابن عزرا" [3] الذي ولد بالأندلس وعمر ابن حزم حينها حوالي أربعين سنة والذي قال عنه "سبينوزا" [4] إنه أول من تنبه إلى الأخطاء الواردة في نصوص العهد القديم، إلا أن قضية الأولية هذه لا يمكن التسليم بها لأن ما ذكره ابن عزرا ما هو إلا غيض من فيض ما فصّله ابن حزم.

---

2 امثال المستشرق الإسباني "أسين بلاثيوس" الذي ترجم كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل إلى اللغة الإسبانية وقدم للترجمة بمقدمة طويلة تتجاز المائة صفحة أشادفيها بالإمام ابن حزم واعتبره المؤسس الحقيقي لعلم مقارنة الأديان.

3 هو أبو هارون بن يعقوب بن عزرا، ولد بغرناطة بين السنتين 1055م و 1060م لعائلة يهودية غنية عريقة ...كان عارفا بالتوراة و الآداب العربية، نصوصا و تاريخا . كما كان شديد الاهتمام أيضا بالفلسفة اليهودية و العربية، مطلعا على المصادر اليونانية المتداولة عند الأندلسيين، غادر غرناطة سنة 1095م، ليلقى عصى الترحال بإسبانيا المسيحية، توفي في العقد الرابع بعد الألف و المائة للميلاد، كما دلت على ذلك بعض أشعاره، له عدة مؤلفات منها "مقالة الحديقة في معنى المجاز و الحقيقة" تحدث فيه عن بعض مشاكل التوراة، وكتاب "المحاضرة و المذاكرة" ألفه بالعربية و كتبه بحروف عبرية اهتم فيه بالشعر العبري لكنه اتخذ الثقافة العربية أساسا له ، كما له دواوين شعر . انظر "ابن رشد و الفكر العبري الوسيط – فعل الثقافة العربية الإسلامية في الفكر العبري اليهودي" للدكتور أحمد شحلان، ج 1 ص 111-120.

4 عالم يهودي من أصل برتغالي نشأ في هولاندا من أهم كتبه "رسالة في اللاهوت والسياسة" الذي وجه فيه نقدا متينا لنصوص الكتاب المقدس.

و إن عالماً كابن عزرا يتقن اللغة العربيـــة، من المستبعد جدا أن يهمل كتابي ابن حزم السالفي الذكر وهما يوجِّهان أعنف نقد لأقدس نص عنده. وحتى إن لم يشر إليهما في كتاباته فلا شك أنهما تركا أثرا عميقا في نفسه، دفعه إلى كتابة تلك الإشارات التـــي اعتمدها سبينوزا في نقده لنصوص العهد القديم في كتابه "رسالة في اللاهوت والسياسة" الذي قض به مضاجع اليهود في عصره.

و هدفنا من هذه القراءة في نقد نصوص العهد القديم عند ابن حزم أن نبين للقارئ الكريم أيّا كان معتقده، أن تلك النصوص التي يؤصل بها اليهود معتقداتهم واختياراتهم -كما هو الشأن في أسطورة شعب الله المختار و أسطورة أرض الميعاد- لا ترقى إلى المستوى الذي تضفي فيه المشروعية عليها، لأنها مجتثة الأصل سندا ومتنا، وبالأدلة العلمية الدامغة.

لقد تطرق ابن حزم لليهودية في القسم السادس [5] من كتاب "الفصل" الذي خصصه لأصحاب الملل المنكرة لبعض النبوات وتؤمن ببعضها الآخر، وكانت بداية كلامه عن فرقها التي حددها في خمسة وهي : السامرية [6] والصدوقية [7] والعنانية [8] والربانية [9] والعيسوية [10] وقد أعطى تعريفاً مختصراً لكل واحدة منها، وقال بأنهم

---

5 قسم الإمام ابن حزم الفُرَق المخالفة للإسلام إلى ستة أقسام إبتدأ بأبعدها عنه وسمى أصحابها منكري الحقائق واختتم بأقربها وهي أصحاب الديانات التوحيدية .

6 يقولون إن القدس هي نابلس و لا يعرفون حرمة لبيت المقدس ولهم توراة غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود و يبطلون كل نبوة في بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام و يوشع بن نون آخر أنبيائهم ولا يقرون بالبعث وهم بالشام ولا يستحلون الخروج منها (انظر الفصل في الملل و الأهواء و النحل ص 177 -178).

7 نسبة إلى رجل إسمه صدوق و هم الذين يقولون بأن عزير ابن الله دون سائر فرق اليهود، كانوا بجهة اليمن (نفسه ص 178)

8 أصحاب عانان اليهودي وتسميهم اليهود القرائين وهم لا يتعدون شرائع التوراة وما جاء في كتب الأنبياء و يتبرؤون من قول الأحبار و يكذبونهم وهم بالعراق و مصر والشام وفي الأندلس بطليطلة وطلبيرة (نفسه ج 1 ص 178).

9 و هم القائلون بأقوال الأحبار ومذاهبهم و هم جمهور اليهود (نفسه ج1 ص 178) .

10 و هم أصحاب أبي عيسى الأصبهاني كان إسمه محمد بن عيسى وهم يقولون بنبوة عيسى بن مريم و محمد (ص) ويقولون إن هذا الأخير أرسل إلى بني إسماعيل وسائر العرب (نفسه ج1 ص 179)

موافقون لنا في الإقرار بالتوحيد ثم بالنبوة وبآيات الأنبياء عليهم السلام وبنـــزول الكتب من عند الله إلا أنهم فارقونا في بعض الأنبياء [11].

وقد تطرق لنقد أسفار العهد القديم على مستويين، الأول يتعلق بمحتوى نصوصه، عالجه في ثمانية وخمسين فصلاً وكان هدفه منه بيان ما تحتوي عليه هذه النصوص من كذب وتحريف واضطراب وتناقضات [12]. والثاني يتعلق بدراسة الأحداث التاريخية، وقد اكتفى فيه بفصلين اثنين حاول فيهما بيان استحالة سلامة التوراة في التحريف من ظل ظروف كالتي عاشها بنوإسرائيل إبان القرون التي تلت موسى عليه السلام.

وسوف نحافظ في تعاملنا مع الموضوع على نفس الخطة التي اتبعها ابن حزم مع الحرص على الاختصار ما أمكن فيما يتعلق بفصول المستوى الأول وبالشكل الذي لا نُخلُ فيه بالمقصود.

أولا : قراءة في دراسة ابن حزم النقدية لمحتوى أسفار العهد القديم

بعد ذكر الهدف من هذه الدراسة الذي هو بيان ما في أسفار العهد القديم من كذب على الله والملائكة والأنبياء عليهم السلام [13] يُلزم ابن حزم نفسه بألاّ يُخرج من الكتب المذكورة (ويقصد بها أسفار التوراة) شيئاً يمكن أن يخرّج على وجه مَّا وإن دقَّ وبعُد، أوكلاماً لا يُفهم معناه، وإنما يخرج ما لا حيلة فيه ولا وجه أصلاً إلاَ الدعاوى الكاذبة التي لا دليل عليها أصلاً لا محتملاً ولا خفياً [14]. وقد خصّص الفصل الأول للحديث عن "التوارة السامرية" وترك السبعة والخمسين فصلا الأخرى للتوراة المقابلة

---

11 نفســه ج1 ص 201. (وابن حزم لا يقصد هنا التوحيد والنبوة من حيث المضمون بل من حيث الشكل فقط، باعتبار أن هناك في هذا القسم من لا يقول بوجود إلاه واحد كالمجوس أو أصحاب التثليث من النصارى، وكذلك لأن هناك من لا يؤمن بعدد من الأنبياء، أما مضمون التوحيد والنبوة فمشتان بينهما في الديانتين وهذا ما سيتضح من كلامه حينما يبدأ بنقاش مضامين العهد القديم).

12 **الفصل** ج1 ص: 288

13 **الفصل** ج1 ص: 201 .

14 المرجع السابق ج1 ص 202 .

التي تؤمن بها باقي الفرق اليهودية، ولعل سبب هذا التفاوت هو كون التوراة السامرية معتمدة من فرقة واحدة ليست ذات وزن مقارنة مع غيرها من فرق اليهود-خاصة الربانيين-. والشيء الذي أثاره هنا هو تبادل التهم بين السامرية من جهة وباقي فرق اليهود من جهة ثانية، وطعن كل منهم في التوراة التي بيد الآخر بالتحريف، ليُثبت أنْ لا مفرَ من أنْ تكون التوراة محرفة لاعتبار أول هو تعدد النسخ واختلافها [15]، و يمكن تقسيم الموضوعات التي عالجها في هذه الفصول إلى ثلاثة وهي : "الألوهية والملائكة والنبوة"، لكنها لم تكن متساوية من حيث حظها من التناول، لأن الذي كان يشغل ابن حزم هو إخراج ما بدا له كذباً وتحريفاً من التوراة، فكان حظ كل قسم بحسب حظّه من التحريف في التوراة نفسها

. 1 – الألوهـــية :

وقد تطرق لموضوع الألوهية من جانبين، الأول عالج فيه ما يُنسب لله عز وجل في التوراة من تجسيم وتشبيه ونقص، والثاني خصصه لما احتوته من أخطاء جغرافية وتاريخية وحسابية يستحيل معها أن تكون ذات مصدر إلهي، لأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، فلا يقبل البتة تصور الخطأ فيما يأتي من عنده .

أ– ***مـــا ورد في التوراة من صفـــات النقص في حق الله عز و جل*** :

المثال الأول : تعرض ابن حزم لما جاء في سفر التكوين من أن الله خلق آدم كصورته وشبهه [16] فكان رده كالآتي : "لو لم يقل إلا كصورتنا لكان له وجه حسن ومعنى صحيح، وهو أن نضيف الصورة إلى الله تعالى إضافة المِلك والخَلق كما تقول هذا عمل الله وتقول للقرد.. هذه صورة الله أي تصوير الله.. لكن قوله كشبهنا منع التأويل وسدَّ المخارج وقطع السبل وأوجب شبه آدم لله عز و جل.. وحاشىلله أن يكون له مثل أوشبه" [17].

---

15 المرجع السابق ج1 ص: 202 .

2 **التكوين** 1 \ 26 .

17 **الفصل** ج1، ص: 202-203 .

المثال الثاني : تعرضه لما جاء في سفر التكوين أيضاً "وقال الله هذا آدم قد صار كواحد منا في معرفة الخير والشر والآن كي لا يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ويأكل ويحيا إلى الدهر فطرده الله من جنات عدن" [18].

فهذا الكلام في نظر ابن حزم يطعن في التوحيد ويوحي بتعدد الآلهة بل "قد أدى.. بكثير من خواص اليهود إلى الاعتقاد أن الذي خلق آدم لم يكن إلا خلقاً خلقه الله تعالى قبل آدم وأكل من الشجرة التي أكل منها آدم فعرف الخير والشر ثم أكل من شجرة الحياة فصار إلها من جملة الآلهة"[19].

وهناك فصول أخرى [20] عالج فيها ابن حزم موضوع الألوهية محاولا كشف الحجاب عما احتوته التوراة من تصورات منحرفة عن الذات الإلهية، مما يجعل الإنسان موقناً تماماً بتحريفها .

ب- ما ورد في التوراة من أخطاء يستحيل معها نسبتها إلى الله عز و جـــل :

المثال الأول: و هو مرتبط بعلم الجغرافية، تعرض فيه ابن حزم للنّص الآتي من سفر التكوين :

"ونهر يخرج من عدن فيسقي الجنات ثم يفترق فيصير أربعة رؤوس، اسم أحدها النيل وهو محيط بجميع بلاد زويلة .. واسم الثاني جيحان وهو محيط بجميع بلاد الحبشة واسم الثالث الدجلة وهو السائر شرق الموصل واسم الرابع الفرات وأخذ الله آدم و وضعه في جنات عدن" [21].

قال ابن حزم: "في هذا الكلام من الكذب وجوه فاحشة قاطعة بأنها من توليد كـــذّاب مستهزء" [22]، وهو هنا ينفي تماماً المصدرية الإلهية عن هذا الكلام ويؤكد

---

18 **التكوين** 3\24 .

19 **الفصل** ج 1 ص 207 .

20 أنظر مثلا معالجـــة ابن حزم لما جاء في سفر التكوين 6\1-2 من أن لله أولاداً اتخذوا من بنات آدم نساء، "الفصل" ج1 ص 209 .

21 **التكوين** 2\10 14 .

22 **الفصل** ج 1 ص: 203 .

بقوة أنه لا يمكن أن يصدر إلا عن كذّاب مستهزء، ثم يتمم قائلا: " أول ذلك إخباره أن هذه الأربعة تفترق من النهر الذي يخرج من جنات عدن التي أسكن الله فيها آدم ... وكل من له أدنى معرفة بالهيئة وبنصبة الربع المعمور من الأرض أومشى إلى مصر والشام والموصل يدري أن هذا كله كذب فاضح وأن مخرج النيل من عين الجنوب ومصبه قبالة الإسكندرية فأما جيحان فيخرج من بلاد الروم حتى يصب في البحر الشامي وأما دجلة فمخرجها من أعين بقرب خلاط من عمل أرمينية وأما الفرات فمخرجه من بلاد الروم على يوم من (قالي) ... فهذه كذبة شنيعة لا مخلص منها والله تعالى لا يكذب" [23].

ومن خلال هذا البيان الدقيق المستوحى من علم ابن حزم الجيد بالجغرافية، يؤكد مرة أخرى شناعة ما احتوته التوراة من الكذب الذي يستحيل أن يصدر عن الله عزّ جل، وقد استمر بعد هذا في إعطاء معلومات أخرى حول هذه الأنهار خلافاً لما جاء في التوراة .

المثال الثاني : سنختار مثالاً يرتبط بعلمي الحساب والتاريخ معاً، ونشير قبل ذلك إلى أن ابن حزم قد ساق في هذا الباب أمثلة كثيرة أكّد من خلالها أن الذي ألف التوراة لم يكن له علم بالحساب، منها كلامه عن مدة تعذيب بني إسرائيل [24]، ومدة بقائهم في مصر [25]، والفارق الزمني بين الأحداث في التوراة مقارنة مع الإنجيل مرتبطة بالطوفان وأبناء نوح عليه السلام[26]وسوف أقتصر على ما ساقه عن عُمُر سام ابن نوح عند وقوع الطوفان حيث قال: "وقال توراتهم إن نوحا لما بلغ خمسمائة سنة ولد له يافت وسام وحام ثم ذكر إن نوحا إذْ بلغ ستمائة سنة كان الطوفان ولسام يومئذ مائة سنة وقال بعد ذلك إن سام لما كان ابن مائة سنة ولد أرفكشاد لسنتين بعد الطوفان"[27]

---

23 **الفصل** ج 1 ص: 212 .

24 المرجع السابق ج 1 ص: 213 217 .

25 المرجع السابق ج 1 ص: 248 .

26 المرجع السابق ج 1 ص: 210 .

27 المرجع السابق ج 1 ص: 212 .

ففي الحساب الأول أن سام لما كان عمره مائة سنة وقع الطوفان، وفي الثاني لما كان عمره مائة سنة كان قد مر على الطوفان سنتين، ونتيجة لهذا الاضطراب قال ابن حزم "وهذا كذب فاحش وتلون سمج وجهل مظلم ... حاشى لله من مثله" [28].

وهو هنا ينـــزه الذّات الإلهية عن الكذب والخطأ وينسبهما لمن ألف التوراة .

2 – الملائكة :

لم يخصص ابن حزم لموضوع الملائكة فصولا كثيرة، فهو أقل حظاً من الموضوعين الآخرين (الألوهية والنبوة)، و مع ذلك فقد أوضح الصورة التي توجد في التوراة عن الملائكة، الشيء الذي لا يمكن إلا أن يكون كذبا وتحريفا .

المثال الأول : جاء في التوراة "فلما بد أ الناس يكثرون على ظهر الأرض و وُلِدَ لـــهم البنات فلما رأى أولاد الله بنات آدم أنهن حسان اتخذوا منهن نساء وكان يدخل بنوا الله إلى بنات آدم ويولد لهم حراما وهم الجبابرة" [29]. وقد علق على هذا الكلام بقوله: "هذا حمق ناهيك به وكذب عظيم إذ جعل لله أولادا ينكحون بنات آدم وهذه مصاهرة تعالى الله عنها- حتى إن بعض أسلافهم قال إنما عني بها الملائكة، وهذه كذبة، إلا أنها دون الكذب في ظاهر اللفظ [30]، وسواء كان قصد المؤلف أولاد الله أو الملائكة فالأمر سيان، ولا يخلو من كذب، إذ كيف يتصور أن يساور الملائكة شهوة كالبشر، وحتى إن حصل هذا فكيف يدخلون ببنات آدم بالحرام ؟ ويولد لهم أبناء من حرام !!

هذا بالفعل ما لا يمكن قبوله عن الملائكة الذين يفعلون ما يؤمرون .

المثال الثاني : تعرض ابن حزم لما جاء في سفر التكوين "وتجلى الله لإبراهيم عند بلوطات مَمْرا وهو جالس عند باب الخباء عند حمي النهار ورفع عينيه ونظر فإذا

---

28 المرجع السابق ج 1 ص: 212 .

29 **سفر التكوين** 6 / 201 .

30 **الفصل** ج 1، ص: 209 .

بثلاثة نفر وقوف أمامه فنظر وركض لاستقبالهم عند باب الخباء وسجد على الأرض وقال يا سيدي إن كنت قد وجدت نعمة في عينك فلا تتجاوز عبدك، ليؤخذ قليل من ماء واغسلوا أرجلكم واستندوا تحت الشجرة وأقدم لكم كسرة من الخبز تشتد بها قلوبكم وبعد ذلك تمضون ...ثم أخذ خبزاً ولبناً والعجل الذي طبخه ومدها أمامهم وبقي واقفا في خدمتهم تحت الشجرة وهم يأكلون" [31].

علق ابن حزم على هذا بكلام في غاية الرزانة والدقة، ونسف ما فيه من "ضلال"-كما أسماه- سواء في حق الله تعالى أوفي حق الملائكة، وهذا نصُّه: "في هذا الفصل آيات من البلاء شنيعة نعوذ بالله من قليل الضلال وكثيره، فأول ذلك إخباره أن الله تعالى تجلى لإبراهيم وأنه رأى الثلاثة هم الله، فهذا هو التثليث بعينه... بل هو أشد... لأنه إخبار بشخوص ثلاثة والنصارى يهربون من التشخيص... فإن كان أولئك الثلاثة ملائكة -وهكذا يقولون- فعليهم في ذلك أيضا فضائح عظيمة وكذب فاحش من وجوه :

أولـــها : من المحال والكذب أن يخبر بأن الله تعالى تجلى له وإنما تجلى له ثلاثة من الملائكة.

ثانيهـــا : أن يخاطب أولئك الثلاثة بخطاب الواحد، وهذا أيضا محال.

ثالثهـــا : سجوده إلى الملائكة، فإنه من الباطل أن يسجد رسول الله عليه السلام وخليله لغيرالله .

رابعهـــا : خطابه لهم بأنه عبدهم .

خامسها : قوله يؤخذ قليلٌ من الماء ويغسل أرجلكم وأقدم كسرة من الخبز تشتدُّ بها قلوبكم ...فهذا كذب لأن إبراهيم يعلم أن الملائكة لا تشتد قلوبها بكسر الخبز.

سادسها : إخباره أنهم أكلوا الخبز والشوى والسمن واللبن.

---

31 **سفر التكوين 18 / 1-8 .**

وحاشى له أن يكون هذا خبرا عن الله تعالى أو الملائكة" [32]وبعد هذا التعليق يحكي ابن حزم القصة كما جاءت في القرآن ليبيِّن شساعة البون بين كلام الله حقا وصدقا وبين ما ينسب إليه زورا و كذبا، فالملائكة لا تأكل ولا تشرب ولا يصيبها الكلل من فعل أمرت به كي تقعد وتستريح أوتستظل.

3 – النبوة :

وهي التي نالت الحظ الأوفر من الفصول السبعة والخمسين المخصصة لنقد التوراة، ولا غرابة في ذلك، فالأنبياء فيها كثُر وبكل الألوان والأشكال، ففيها الصادق والكاذب، المؤمن والمرتد، الزاني والعفيف، البر والفاجر، وهذه بعض النماذج التي عالجها :

المثال الأول : جاء في التوراة: "وأقام لوط في المغارة هو وابنتاه فقالت الكبرى للصغرى أبونا شيخ وليس في الارض أحد يأتينا كسبيل النساء، تعالي نسقي أبانا خمرا ونضاجعه ونستبق منه نسل . فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة فأتت الكبرى فضاجعت أباها و لم يعلم بنومها ولا بقيامها فلما كان من الغد قالت الكبرى للصغرى قد ضاجعت أبي أمس تعالي نسقيه الخمر هذه الليلة وضاجعيه أنت ونستبقي من أبينا نسلا فسقتاه تلك الليلة خمرا وأتت الصغرى فضاجعته و لم يعلم بنومها ولا بقيامها، وحملت ابنتا لوط من أبيهما فولدت الكبرى (مؤاب) وهو أبو المؤابيين إلى اليوم و ولدت الصغرى (ابن عمي) وهو أبو العمونيين إلى اليوم" [33] ولا يخفى ما يوجد في هذا الكلام من قبائح وفضائح تقشعر من سماعها جلود المؤمنين العارفين حقوق الأنبياء عليهم السلام كما قال ابن حزم[34]، وإليكم ما ذكر :

---

32 "**الفصل**" ج ا ص: 220 – 221 .

33 **سفر التكوين** 19 / 30 – 36 .

34 **الفصل** ج ، ص 234 .

أولا : ما ذكر عن بنْتَي لوط عليه السلام من قولهما :"ليس أحد في الأرض يأتينا كسبيل النساء تعالي نسقي أبانا خمرا ونضاجعه ونستبق منه نسلا"، فهذا كلام أحمق في غاية الكذب ... أترى كان انقطع نسل ولد آدم كله حتى لم يبق في الأرض أحد يضاجعهما !!

فكيف والموضع معروف إلى اليوم، ليس بين تلك المغارة..وقرية سكنى إبراهيم عليه السلام إلا فرسخ واحد لا يزيد .

ثانيا : إطلاق الكذاب ... لعنه الله هذه الطومة على الله عز وجل من أنه أطلق نبيه ورسوله على هذه الفاحشة العظيمة من وطء ابنتيه واحدة بعد أخرى، فإن قالوا لا ملامة عليه في ذلك لأنه فعل ذلك وهو سكران قلنا فكيف عمل إذا رآهما حاملتين وإذ رآهما قد وَلَدتا ... وإذ رآهما تربيان أولاد الزنا هذه فضائح لا بد وتوليد الزنادقة المبالغين في الاستخفاف بالله وبرسله" [35].

فهذا مثال من أمثالة كثيرة تحكي أقبح الأفعال وأذمها عن الأنبياء والرسل، وقد تطرق إليها ابن حزم في كتابه هذا مبيِّنا استحالة وصف الأنبياء والمرسلين الذين اصطفاهم الله من بين خلقه وأكرمهم بالعصمة بهذه الصفات.

المثال الثاني : عن نبي الله هارون أخو موسى عليهما السلام، فقد جاء في التوراة أنه لما ذهب موسى لميقات ربه طلب بنو إسرائيل منه أن يصنع لهم إلـــها لأنهم لا يعلمون ما جرى لموسى، فأمرهم بجمع أقراط الذهب من آذان نسائهم وبناتهم وأبنائهم، وصنع منه عجلا وقال لهم هذا إلهكم الذي أخرجكم من مصر ثم بنى له مذبحا [36].

علق ابن حزم على هذا بقوله : "هذا الفصل عفا على ما قبله وطمَّ عليه أن يكون هارون وهو نبي مرسل يتعمد أن يعمل إلها يعبدونه من دون الله عز

---

35 **الفصل** ج ا ص 234 .

36 **سفر الخروج** 37 / 1-7 .

وجل..ويبني للعجل مذبحا ...إن هذا لعجب ! نبي مرسل كافر مشرك !!! يعمل لقومه إلها من دون الله" [37].

وبعد هذا التعجب ينطلق ابن حزم بكلام لاذع في حق كاتب هذه الأكاذيب ومن يؤمن بها قائلا: " أترى بعد استخفاف النذل الذي عمل لهم هذه الخرافة بالأنبياء عليهم السلام استخفافٌ !! حاشى لله من هذا، أَوَتَرَوْن بعد حمق من يؤمن بأن هذا من عند موسى رسول الله وكليمه عن الله تعالى حمقٌ " [38]، ثم قام بعرض هذه القصة على نظيرتها في القرآن ليبين الحق من الباطل ويتره النبوة مما لصق بها من دنايا تجعل من هذه الأمور أكبر دليل عن تحريف الكتاب واستحالة نسبته إلى موسى عليه السلام .

وخلاصة القول عنده أن المتأمل في محتوى التوراة لا يستطيع بحال من الأحوال أن يسلم بإلـــهية مصدرها، ولا يساوره شك في أنها مكذوبة، كان الغرض منها تحريف تصورات بني إسرائيل حول الألوهية والملائكة والنبوة، وهذا بالفعل ما حصل . فلا مفهوم الألوهية بقي نقيا من الشوائب ولا مفهوم الملائكة حافظ على ماهيته، ولا مفهوم النبوة نجا من الأباطيل، فغرقت المفاهيم الثلاثة في أتون المادية المقيتة والشهوانية المظلمة والنـــزوات القاتلة، حتى لم يبق للإله عندهم حرمة ولا للملائكة مكانة ولا للأنبياء احترام .

المثال الثالث : وموضوعه ما جاء في سفر التثنية من قول موسى لقومه : " إن طلع فيكم نبي وادعى أنه رآى رؤيا وأتاكم بخبر مايكون وكان ما وصفه ثم قال لكم بعد ذلك اتبعوا أبناء آلهة الأجناس فلا تسمعوا له" [39].

قال ابن حزم " فهذا الفصل ... تدسيس كاف مبطل للنبوات كلها، لأنه أثبت النبوة بقوله إن طلع فيكم نبي ...ثم أمرهم بمعصيته إذا دعاهم إلى اتباع آلهة الأجناس، وهذا تناقض فاحش . ولئن جاز أن يكون نبي يصدق فيما ينذر به يدعو إلى الباطل

37 **الفصل** ج ا ص 257 .
38 **الفصل** ج1 ص257 .
39 سفر التثنية 13\1 .

والكفر فلعل صاحب هذه الوصية من أهل هذه الصفة ... وهل ها هنا شيء يوجب تصديقه واتباعه ويبينه من الكذابين إلا ما صحح نبوته من المعجزات" [40].

يؤكد ابن حزم هنا انه من المستحيل في حق النبي الذي ثبتت نبوته بالمعجزات أن يأمر بالباطل، ومن المستحيل على من ليس بنبي أن تظهر على يده المعجزات، وبالتالي فلا مجال لذلك الكلام المنسوب إلى موسى عليه السلام، لأن تصديقه ينفي نبوة موسى الذي لم تعرف نبوته إلا بما أتى به من معجزات، وقد ختم الفصول السبعة والخمسين في نقد محتوى التوراةبتعليق دقيق على الفقرات الآتية من سفر التثنية " فتوفي موسى عبد الله بذلك الموضع في أرض مواب مقابل بيت فغور ولم يعرف آدمي موضع قبره إلى اليوم ... ولم يخلف موسى في بني إسرائسل نبي مثله ولا من يكلمه الله مواجهة" [41].

وكان تعليقه كما يلي : "هذا آخر توراتهم وتمامها وهذا الفصل شاهد عدل وبرهان تام ودليل قاطع وحجة صادقة في أن توراتهم مبدلة وأنها تاريخ مؤلف،كتبه لهم من تحرض بجهله أوتعمد بفكره، وأنها غير منـــزلة من عند الله تعالى، إذ لا يمكن أن يكون هذا الفصل منـــزلا على موسى في حياته وقوله لم يعرف قبره آدمي إلى اليوم بيان لما ذكرنا كاف، وأنه تاريخ ألف بعد دهر طويل و لابد" [42].

ثم يستطرد قائلا بأن فصلا واحدا من الفصول التي ذكر موجب لتحريف التوراة، فكيف وهي سبعة وخمسون فصلا قد يجمع الفصل منها سبع كذبات أو مناقضات [43].

---

40 الفصل ج 1 ص: 282 ــ283 .

41 **التثنية** 34 \5 -12 .

42 **الفصل** ج1 ص: 285 .

43 المرجع السابق ج1 ص: 285 .

ثانيا : حال التوراة عبر تاريخ بني إسرائيل*

إن كان ابن حزم قد تحدث عن تاريخ بني إسرائيل، فلم يكن يهمه منه إلا مصير التوراة، حيث يقول "ونَصف إن شاء الله تعالى حال كون التوراة عند بني إسرائيل من أول دولتهم إثر موت موسى عليه السلام إلى انقراض دولتهم إلى رجوعهم إلى بيت المقدس إلى أن كتبها عزرا الوراق بإجماع من كتبهم واتفاق من علمائهم دون خلاف يوجد ... وما اختلفوا فيه ... نبهنا عليه ليتيقن كل ذي فهم أنها محرفة مبدلة" [44].

وابن حزم هنا يريد أن يثبت كون التوراة لم تكن لتَسْلم من التحريف في تاريخ كتاريخ بني إسرائيل، لأنها من جهة لم تكن عند عموم الناس بل كانت عند "الكوهن الأكبر" وكل كتاب يبقى عند فئة بعينها فسلامته من التحريف والتبديل تكون ضعيفة، ومن جهة ثانية لأن تاريخ بني إسرائيل مليء بالحروب والدمار والسبي والحرق إلى درجة يستحيل معها بقاء التوراة سالمة، خاصة وأن المعابد هي أول ما كان يتعرض للتخريب والنهب عندهم . ومن جهة ثالثة -وهي الأهم- لأن ملوك بني إسرائيل بعد انقسام المملكة كان جلُّهم على الكفر، محارب للإيمان ومخرب للمعابد، فلم تكن التوراة لتنجو منهم، وسوف نعرض هذا في جداول زيادة في الوضوح.

1- حال التوراة من موت موسى إلى انقسام المملكة :

ولي الأمر	مدة ولايته	طبيعة حكمه
يوشع بن نون	31 سنة	دبر أمرهم في استقامة و ألزمهم الدين
فيخاس بن عازار بن هارون الذي كانت معه التوراة .	25 سنة	و هو الكوهن الأكبر، كان على الاستقامة والتزام الدين و قد كفروا بعد موته و عبدوا

* لقد ارتأينا تسمية ما بقي من كلام ابن حزم في موضوع اليهودية في كتاب الفصل بهذا الاسم "حال التوراة عبر تاريخ بني إسرائيل" لما بدا لنا أنه أكثر تعبيرا على ما كتبه ابن حزم من العنوان الذي وضعه المحققان.

44 **الفصل** ج 1 ص: 287 .

		الأوثـــان جهـــارا حتى ملكهم ملك صور و صيدا.
ملك صور و صيدا	8 أعوام	على الكفر
عســـال بن كنار بن أخي كالب بن يقنه بن يهوذا	40 سنة	عـــلى الإيمـــان و بموته كفروا جميعا و عبدوا الأوثان
عقلون ملك بني مؤاب	18 سنة	على الكفر
أهـــوذ بن قراقيل من سبط افرايم وقيل من سبط بنيامين	قيـــل 80 ســـنة وقيل 55	على الإيمان
سمعان بن غاث بن سبط آثار	25 سنة	عـــلى الإيمـــان و بموته كفروا جميعا و عبدوا الأوثان جهارا.
مراش الكنعاني	20 سنة	على الكفر.
دبورا (امرأة) من سبط يهوذا	40 سنة	على الإيمان و بموتها تخلوا عن الإيمان و ارتدوا لعبادة الأوثان جميعا.
عوزيب و زاب ملك بني مدين	7 سنين	على الكفر.
جدعون بن يواس من سبط افرايم و قيل سبط منسي.	40 سنة	و يقولـــون إنه كان نبيا على الإيمان و كان له سبعين ابنا ذكرا.
أبو ملك بن جدعون	3 سنوات	فاســـق خبيث السيرة إرتد في عهده جميع بني إسرائيل و كفروا و عبدوا الاوثان مات مقتولا بعد ثلاث سنوات .
مولع بن رقوا من سبط يُساخِر	25 سنة	لم يوجد بيان أكان على الكفر أو الايمان .
بابين بن جلعاد من سبط منسي	6 سنة	على الإيمان و كان له 32 ولدا ذكرا ولّى كل واحد منهم مدينة و قد ارتد كل بني إسرائيل بعد موته.
بنوا عمون	13 سنة	على الكفر.
هيلغ بن جلعاد من سبط منسي	6 سنين	كـــان فاسقا ابن زانية نذر إن ظفر بعدوّه أن يقرب لله أول من يلقاه من منـــزله فلقي ابنته و لم يكن له ولد غيرها فذبحها .
أفصات من سبط يهودا	6أو 7 سنين	على الاستقامة

أيكون من سبط زبلون	10 سنين	لا يوجد بيان لطبيعة حكمه
عبدون بن هلال من سبط افرايم	8 سنين	على الإيمان و ارتد بنوا إسرائيل بعده و عبدوا الأوثان جهارا.
الفلسطينيون والكنعانيون وغيرهم	40 سنة	على الكفر.
شمشون بن مانوح من سبط داني	20 سنة	كان مشهورا بالفسق واتباع الزواني أسر ومات .
دبّر بنو إسرائيل بعضهم بعضا	40 سنة	في سلامة و إيمان بلا ر ئيس يجمعهم.
الكاهن الهاروني	20 سنة	على الإيمان.
شموال بن فتان النبي من سبط افرايم	قيل 20 و قيل 40 سنة	على الإيمان و كان له ابنان يظلمان الناس فرغبوا إلى شموال أن يجعل لهم ملكا فولى عليهم شاول الدباغ (طالوت).
شاول من سبط بنيامين(طالوت)	20 سنة	وهو أول ملك كان لهم ويصفونه بالنبوة والفسق والظلم والمعاصي معا .
داود عليه السلام	40 سنة	وقد تولى بعد مقتل شاول (طالوت) وهم ينسبون له الزنا بأم سليمان عليه السلام و أنها ولدت منه من الزنا ابنا مات قبل ولادة سليمان .
سليمان عليه السلام	40 سنة	و هو باني الهيكل و قد تفرق أمر بني إسرائيل بعد موته.

وقد علق ابن حزم على هذا التاريخ بقوله " فاعلموا الآن أنه من وقت دخلوا الأرض المقدسة إثر موت موسى عليه السلام إلى ولاية أول ملك لهم وهو شاول المذكور، سبع ردات فارقوا فيها الإيمان وأعلنوا عبادة الأصنام (بين ثمانية أعوام و أربعين سنة في كل ردة) فتأملوا أي كتاب يبقى مع تمادي الكفر و رفض الإيمان هذه المدد الطوال، ليس على دينهم واتباع كتابهم أحد على ظهر الأرض غيرهم " [45].

45 **الفصل** ج ١ص: 290 .

وابن حزم هنا ينكر سلامة التوراة مع تلك الفترات الطوال من الكفر التي يُقِرُّ فيها كاتب التوراة أن الجميع يكفر ولا يبقى واحد على الإيمان، بل ويجاهرون بعبادة الأصنام .

أما الفترة التي تفصل مقتل شاول عن انقسام المملكة فليست بالكبيرة وهي تضم فترة حكم داود ثم ابنه سليمان عليهما السلام، وبعد وفاة هذا الأخير انقسمت المملكة إلى قسمين، مملكة يهوذا وتضم سبطي يهوذا وبنيامين ومملكة إسرائيل وتضم باقي الأسباط العشرة [46].

2- حال التوراة في مملكة "يهوذا" من بدايتها إلى نهايتها :

و هي التي تضم بني يهوذا وبني بنيامين لبني سليمان، وقد عرفت عشرين ملكاً،كان معظمهم على الكفر وعبادة الأوثان، وخلاصة تاريخهم في الجدول التالي :

الاسم	مدة الحكم	طبيعة الحكم و معلومات إضافية
رحبعان بن سليمان	17 سنة	كان على الكفر
أبيا بن رحبعام	6 أعوام	كان على الكفر
أنشا بن ابيا	41 سنة	كان على الايمان
يهوشفاط بن أشا	25 سنة	كان على الايمان
يهورام بن يهوشفاط	8 أعوام	لا يوجد بيان لطبيعة حكمه
أحزياهو بن يهورام	سنة واحدة	على الكفر و قد مات مقتولا.
أمُّه "عثلياهو"	6 أعوام	بنت عمرى ملك العشرة أسباط كانت على الفسق و إشاعة الزنا ثم قتلت .
حفيدها يؤاش بن أحزياهو	40 سنة	على الكفر و هو قاتل أحد أنبيائهم بالحجارة و قد مات مقتولا .
أمصياهو بن يؤاش	29 سنة	كان على الكفر ثم قتل و في أيامه آنتهب ملك

46 المرجع السابق ج 1 ص: 291 .

		الأسباط العشرة بيت المقدس مرتين.
عزياهو بن أمصياهو	52 سنة	على الكفر و هو قاتل النبي "عاموص".
يوشام بن عزياهو	16 سنة	لا يوجد بيان لطبيعة حكمه.
أحاز بن يوشام	16 سنة	على الكفر
حزقيا بن أحـــاز	29 سنة	أظهـــر الإيمان و في السنة السابعة من حكمه انقطع مـــلك الأســـباط العشـــرة على يد ملك "الموصل" سليمان بن عسير فسباهم و نقلهم إلى آمد ونقل أهل آمد إلى موضعهم .
منسى بن حزقيا	55 سنة	أظهـــر الكفر في السنة الثالثة من ولايته و هو قاتل إشعيا النبي نشراً بالمنشار من رأسه إلى المخرج و قيل بالحجارة و الحرق .
آمون بن منسى	سنتين	على الكفر
يوسيا بن آمون	-	أعـــلن الإيمان في السنة الثالثة من ولايته إلى أن قتله ملك مصر .
يهويحوز بن يوشيا	ثلاثة أشهر	عـــلى الكفر أسره ملك مصر و ولّى مكانه يهوياقيم أخوه.
يهوياقيم بن يوشيا	11 سنة	عـــلى الكفـــر قطـــع الدين فيها و أخذ **التوراة من الهارونيين فأحرقها** بالنار و قطع أثرها.
يهوياكين بن يهوياقيم	ثلاثة أشهر	لقـــبه " نيخيا" كان على الكفر إلى أن أسره بختنصر فولى مكانه عمه.
متنيا بن يوشيا لقبه " صدقيا "	11 سنة	كـــان عـــلى الكفر إلى أن اسره بختنصر و هدم البيت والمدينة واستأصل جميع بني إسرائيل و بني سليمان جملة.

علق ابن حزم على ما سبق بقوله : "فاعلموا الآن أن التوراة لم تكن من أول دولتهم إلى انقضائها إلا عند الهاروني الكوهن الأكبر وحده في الهيكل فقط" [47] وقد

47 **الفصل** ج ا ص: 294 .

أشار إلى أن فترة ملكهم التي دامت حوالي أربعمائة سنة، حكمهم فيها تسعة عشر ملكا وامرأة هي تمام العشرين كانوا كلهم على الكفر حاشى خمسة منهم كانوا على الإيمان. وقد وصلت المدة الفاصلة بين فترة الإيمان والكفر إلى أكثرمن مائة وستين عاما في إحدى المرات، كلها في عبادة الأوثان وقتل الأنبياء، واستمر حالهم كذلك إلى أن سباهم بختنصر وهدم البيت واستأصل أثره و لم تكن التوراة عند أحد إلا فيه، فكيف تسلم عبر هذه القرون الطويلة وهي في الهيكل الذي كانت الغارات لا تغفل عنه ولاتترك فيه شيء![48]

3- حال التوراة في مملكة "إسرائيل" من بدايتها إلى نهايتها :

وقد ضمت هذه المملكة الأسباط العشرة، أما ملوكهم "فلم يكن فيهم مؤمن قط، ولا واحد فما فوق، بل كانوا كلهم معلنين عبادة الأوثان، مُخيفين للأنبياء مَانعين القصد إلى بيت المقدس و لم يكن فيهم نبي قط إلا مقتولا أوهاربا مخافا"[49] ونجمل حال ملوكهم في الجدول الآتي:

الاسم	مدة الحكم	طبيعة الحكم ومعلومات إضافية
يرعام بن ناباط	24 سنة	(إفرايمي) كان على الكفـــر
ناداب بن يرعام	سنتين	ثم قتل هو و جميع أهل بيته ، كان على الكفر
بعشاين إيـــلا	24 سنة	من بني يساخر بن ليئـــة كان على الكفر
إيـــلا بن بعشاين	سنتين	قتله رجل من قواده " زمرى " كان على الكفر
زمرى (القاتل)		قتل و أحرق في داره
اخـــتلاف حـــول "تبنى بن جينة" و"عمرى"	12 سنة	و بعـــد 12 ســـنة توفي " تبنى بن جينة " فولي " عمرى "
عمرى	8 أعوام	على الكفر و عبادة الأوثان

48 **الفصل** ج ا ص: 297-298 .

49 المرجع السابق ج ا ص: 294 .

آحاب بن عمرى	21 سنة	أشد ما يكون في الكفر و كان يريد قتل " إلياس" النبي الذي هرب منه (امراته بنت ملك صيـــــدا)
أحزيا بن آحاب	3 أعوام	كان على الكفر و عبادة الأوثان
أخوه يهورام بن آحاب	12 سنة	كـــان على الكفر، قتل وجميع أهل بيته وفي أيامه كان إليسع النبي .
ياهو بن نمشى	28 سنة	من سبط " منسى " أقل السابقين كفراً و لم يظهر الإيمـــان، هـــدم الهيـــاكل و قتل السدنه و لم يحرم الأوثان .
يهوياحان بن باهو	17 سنة	بـــنى بيوت الأوثان و في أيامه ضعف أمر الأسباط العشـــرة لأن ملك دمشق غلب عليهم و قتلهم إلا قلة .
يؤاش بن يهوياحان	16 سنة	على الكفر، غزا بيت المقدس و أخذ كل ما فيه و هـــدم مـــن سور المدينة 400 ذراع و هرب عنه ملك يهوذا .
ياربعام بن يؤاش	45 سنة	عـــلى مثل كفر أبيه غزا أيضاً بيت المقدس وقتل ملكها الداودي.
زخريا بن ياربعام	6 أشهر	على الكفر إلى أن قتل وجميع أهله.
شالوم بن نامس	شهر واحـــد	مـــن سبط نفتالي بن بلهة أمَة راحيل و كان على الكفر ثم قتل.
مياخيم بن قارا	20 سنة	من سبط يساخر بن ليئة كان على الكفر ومات .
محيا بن مياخيم	سنتين	على الكفر و عبادة الأوثان فتل هو وجميع أهله .
ناجح بن مليا	28 سنة	مـــن سبط دان بن "بلهة" أمة "راحيل" كان على الكفر إلى أن قتل وجميع أهل بيته وفي أيامه أحلى " تباشـــر " مـــلك الجزيرة بني رؤوبين و بني "جاد" ونصـــف ســـبط "منســـى" من بلادهم "بالعور" وحملهم إلى بلاده و أسكن بلادهم قوماً من بلاده.
هـــوشـــــع بن أيلا و هو	7 سنين	مـــن ســـبط جـــاد كان على الكفر إلى أن أسره

آخر ملوك الأسباط العشرة		سليمان بن الأعسر ملك الموصل وحمله وتسعة أسباط ونصف سبط منسى إلى بلاده أسرى وأسكن بلادهم قوماً من بلده وهم السامرية إلى اليوم .

يتبين من خلال هذه الجداول التي تلخص لنا حال أوليائهم وملوكهم منذ موت موسى عليه السلام إلى السبي البابلي، أن أغلبهم كانوا على الكفر، مجاهرين بعبادة الأوثان، متّبعين للشهوات والملذات، وذلك بشهادة الكتاب المقدس نفسه، بل إن التوراة خلال هذه القرون الطويلة لم تكن متداولة بل كانت دائما بيد الكوهن الأكبر، إلى أن أقيم الهيكل فوضعت فيه و لم تكن عند أحد، أضف إلى ذلك أن كل الغارات التي كانت تصيبهم كانت تفرغ الهيكل من كل ما فيه، هذا وقد تعرضت التوراة للتمزيق والإحراق غير ما مرة، فكيف يدعي مدع بنجاتها من كل هذا ووصولها سالمة !!!

"إنها من إملاء عزرا الوراق الهاروني وهم مقرون أنه وجدها عندهم وفيها خلل كبير فأصلحه !!.. وكانت كتابته لها بعد سبعين سنة من خراب البيت، وكتبهم تدل على أنه لم يكتبها و لم يصلحها إلا بعد نحو أربعين سنة من رجوعهم إلى البيت بعد السبعين عاماً السالفة الذكر، و لم يكن فيهم حينئذ نبي أصلا، ومن ذلك الوقت انتشرت التوراة ونسخت وظهرت ظهورا ضعيفا و لم تزل تتداول إلى أن جعل "أنطاكيوس" الملك وثنا للعبادة في بيت المقدس، وأخذ بني إسرائيل بعبادته ثم تولى أمرهم قوم من بني هارون بعد مئين من السنين وعملوا لهم دينا جديدا و رتبوا لهم الكنائس في كل قرية وذلك بعد هلاك دولتهم بأزيد من أربعمائة سنة..ثم إن في التوراة التي ترجمها السبعون شيخا لبطليموس الملك بعد ظهور التوراة مخالفة للتي كتبها لهم عزرا" [50] فلا سبيل إذا للقول بنجاة التوراة !

50 **الفصل** ج1 ص: 298-299 .

خـــاتمة :

لقد كان تناول ابن حزم لنصوص العهد القديم بالدراسة والنقد نقطة من أهم نقط مشروعه النقدي للديانات المخالفة للإسلام، هذا المشروع الذي عنونه ب "الفصل في الملل والأهواء والنحل" وصاغه صياغة منهجية دقيقة استعصى فهمها على الكثيرين ممن تناولوا مشروعه بالدراسة، وما تلك النماذج التي قدمنا في قراءتنا هذه إلا غيضٌ من فيضِ ما أتى به من أدلة دامغة لا تدع مجالا للشك في النتيجة المتوصل إليها والقائلة بتحريف نصوص العهد القديم المتداولة بين الناس وعدم نسبتها إلى من نسبت إليهم، بل والتأكيد على أنها مجرد كتاب تاريخي دوَّن فيه "عزرا الوراق" تاريخ بني إسرائيل حسب ما توفر لديه من معلومات.

وللوصول إلى هذه النتيجة استعمل ابن حزم منهجين اثنين، فاعتمد المنهج الفيلولوجي أثناء تعرضه لنقد مضامين نصوص العهد القديم وعرض بعضها على بعض، والمنهج التاريخي لبيان استحالة سلامة التوراة من التحريف في تاريخ بني إسرائيل الذي كانت سمته الأساسية هي الكفر والردة والحروب والفتن، منذ عهد موسى عليه السلام وإلى عهد بطليموس الذي ترجم له السبعون شيخاً التوراة . وقد ركز في المستوى الأول على الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام وكذا الأسفار المنسوبة إلى أنبيائهم ليؤكد بطلان هذا الإدعاء، و ركز في المستوى الثاني على ما جاء في الأسفار الأخرى وخاصة أسفار القضاة الأول والثاني والملوك الأول والثاني من أحداث تاريخية، ليصل في النهاية إلى أن هذه الأخيرة هي خير دليل على ضياع التوراة الأصلية وتعرضها للتحريف والتبديل،كما تعرضت للحرق والتمزيق .

أفلا يدفعنا كل هذا للتساؤل عن أوْلى الأمم بالارتباط بنصها المقدس وجعله أصلا لمعتقداتها وإطارا لسلوكياتها ؟ أيعقل أن يتشبث غيرنا بما عندهم من نصوص مع عظيم علّتها، فيحكمونها في كل صغيرة وكبيرة ؟ و نجعل نحن كتاب الهدى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وراء ظهورنا! .